أبو عبد الله محمد بن الحداد الشعر و الشاعر

د.عمر ابراهيم توفيق

الخلاصة

يتناول هذا البحث سيرة حياة الشاعر الأندلسي عبد الله بن الحداد المتوفى في ٤٨٠ للهجرة ، الذي عاش في خضم الصراع القائم في حقبة ما يسمى بـ (عصر الطوائف) ، مع دراسة وافية لأغراضه الشعرية ، متوقفاً بشكل خاص عند غرضه الذي أبدع فيه ، و يمكن أن نسميه بـ (الغزل بالنصرانيات) والذي نجح بنقل صور من العادات و الطقوس المسيحية إلى الأدب العربي ، مع تحليل لنماذج من قصائده المختارة .

و مختتماً البحث بملحق عن أبياته الشعرية التي أمكن العثور عليها بين ثنايا الكتب الأدبية و التاريخية و التي بلغ عددها ثلاثمائة و ستة و تسعين بيتاً .

المقدمة

الأدب الأندلسي ذخرٌ كبير يحتاج إلى التنقيب و البحث ، و كلما توغلت فيه وجدت نفسك أمام كم هائل من الكتب التي طوتها يد الزمان ، و لم يصل إلينا منها إلا إشارات متناثرة بين ثنايا الكتب المعدودة التي طبعت بفضل الجيل الأول من الباحثين الذين نفضوا الغبار عن بعض المخطوطات الأندلسية المنسية و الراكدة في زوايا المكتبات الأسبانية والعربية ، و من بين هذه الكتب المنسية في هذه الحقبة من عصر العولمة أعلام كبار كانت نجومهم ساطعة و مؤلفاتهم متداولة في عصورهم و قد ضاعت نتيجة للتطاحن الحضاري بين طرفين لم يقبل أحدهم الآخر طيلة ثمانية قرون ، و شاعرنا عبد الله بن الحداد المتوفى في سنة ٤٨٠ للهجرة في (المرية) بالأندلس واحد من هؤلاء الذين سحقهم الواقع السياسي و لم يصلنا من قصائده سوى النزر اليسير الذي عبر عن مقدرته و براعته في تصوير الجانب الآخر من المجتمع الأندلسي المتمثل بالمجتمع المسيحي من خلال ذلك الجانب الخاص من شعره فيما والذي يمكن تسميته بـ (الغزل بالنصرانيات) و هو موضوع لم يسبق لأحد من الشعراء في المشرق أن مد خياله إليه على الرغم من شيوع الاختلاط الاجتماعي في المشرق بين مجتمعين المسيحي و المسلم .

فبحثنا يسلط الضوء على سيرة هذا الشاعر و دراسة أغراضه الشعرية و تحليل لبعض قصائده مع ملحق يضم أبياته الشعرية التي أمكن العثور عليها ، مرتبة بحسب الترتيب الهجائي للحروف العربية .

الشاعر:-

هو أبو عبدالله بن احمد بن الحداد[١] ، وفي وفيات الأعيان هو محمد بن خلف بن احمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف بالحداد القيسي [٢]، وقد نقل جل المترجمين سيرته المختصرة عن ابن بسام [٣]، وعد من الشعراء الكبار ، وقال عنه صاحب الذخيرة " هذا شمس الظهيرة وبحر خبر وسيرة وديوان تعاليم مشهورة ، وضح في طريق المعارف وضوح الصبح المتهلل ... ترى العلم ينم على اشعاره ... "[٤]. وصنفه ابن سعيد صاحب المغرب بين العلماء وقال عنه " المستولي على الاماد ، المجلي على حلبات الأفذاذ والأفراد ..."[٥]. و في المطمح " هو شاعر مادح ، وعلى ايك الندى صادح ... مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم ..." [٦]. وقال عنه صاحب التكملة " كان من فحول الشعراء وأفراد البلغاء ..." [٧] و أشاد ابن خلكان بقصائده قائلا " في مديحه قصائد بديعة " [٨] و في النفح " شاعر مفلق و أديب شهير مشار إليه في التعاليم "[٩] .

و أصله من (وادي آش) في الأندلس و إستوطن في (المرية) أكثر عمره و اختلط بملوكها من آل صمادح منذ صغره(١٠) .و جاء في النفح " (١١) كان له في صباه علاقة مع الملقب بسراج الدولة عندما أنشد أحد الأدباء متمثلاً :-

سامح أخاكَ إذا أتاكَ بزلـــةٍ ... فخلوص شيء قلما يتمكـــنُ

في كل شيء آفة موجـــودة ... إن السراج على سناه يدخـنُ

فأعجبا المعتصم و قال " ... كنتُ في الصبا و هي معي القب بسراج الدولة ، فقاتله الله ما أشعره " .و قضى معظم حياته في بلاط المعتصم من آل صمادح ، حاكم المرية ، و كان يجتمع حوله جمهرة من أقطاب الشعر و الأدب ، و قال عنه ابن بسام " ... إنه كان رحب اللقاء جزل العطاء ، حليماً عن الدماء و الدهماء ، طافت به الآمال ، و اتسعت في مدحه المقال ، و أعملت إلى حضرته الرجال و لزمته جملة من فحول شعراء الوقت ... ".(١٢) و قد علت رتبته عنده فأسند إليه الوزارة و أحظاه و شاركه في مجالسه(١٣) و لكنه لم يطب له المقام ، فترك المرية رغماً عنه ، و في ذلك أقوال مختلفة ، منها ما قاله ابن عبد الملك في الذيل و التكملة " (١٤) و ذلك إن أخ ابن الحداد قتل رجلاً ، فقبض عليه و نالت الشاعر بسببه مطالبة ، أخفى نفسه من أجلها حيناً ... ". و هذا يتوافق مع قول ابن بسام " بعد إعتقال أخيه "(١٥) و في رواية أخرى جاءت في النفح "(١٦) إنه رمى المعتصم بالبخل بقوله :

يا طالب المعروف دونك فأتركن دار المرية و ارفض ابن صمادح

رجلٌ إذا أعطاكَ حبة خـــردلٍ ألقاك في قيد الأسير الطائـــح

لو قد مضى لك عمر نوح عبده لا فرق بينك و البعيد النـــازح

فاغتاظ عليه و أبعده ففر عن بلده " و الآرجح إن هذه الأبيات قيلت غيظاً بعد تركه المرية لأن المعتصم كان الكرم شيمته ، كما تشهد بذلك قصائد شعرائه ، ابن القزاز و النحلي و ابن بليطة و ابن عبد الشهيد ... ". و جاء في موضع آخر من النفح " و كان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية و حبس أخوه فقال :

الدهـــر لا ينفك من حدثـانه و المرء منقاد لحكـم زمانـه

و علمت إن السعد ليس بمنجح ما لا يكون السعد من أعوانـه

و الجد دون الجد ليس بنافـع و الرمح لا يمضي بغير سنانه

و بلغت الأبيات المعتصم فقال: " شعره أعقل منه ، صدق فإنه لا يتهيأ له صلاح عيش إلا بأخيه ، و هو بمنزلة السنان من الرمح ، ثم أمر بأطلاقه و لحاقه به " . (١٧)

و أقام فترة في مرسية و كتب من هناك :

و سما إلى الملك الرضا ابن صمادح فأدالني بالسخط مـن رضوانه

و هوى بنجمي من سماء سنائـــه و قضى بحطي من ذرا سلطانه (١٨)

و أخذ يذكر الدهر و الزمان و الأيام في شعور قوي بظلم الدهر ، كقوله : " ما الدهر إلا ليلة مدلهمة " و قوله " أيام روعني الزمان بريبة ". (١٩)

و ساءت أحواله و لم يحالفه النجاح فاعتكف على كتبه يقول :

ذهب الناس فأنفرادي أنيســـي و كتابي محدثي و جليسي

صاحب قد أمنـت منه مـــــلالاً و اختلالاً و كل خلق بئيس (٢٠)

و ابتعد عن الملوك و الأمراء و هو القائل :

لزمت قناعي و قعدت عنهـم فلست أرى الوزير و لا الأميرا

و كنتُ سمير أشعاري سفاها فعدتُ بها لفلسفتي سميـــرا (٢١)

و دفعته الحاجة إلى بيع كتبه فقال :

قالت و أبـــدت صفحـــة كالشمس من تحت القناع

بعت الدفاتـــر و هـــــي آ خر ما أمتلكه من المتـــاع

فأجبتهـــا ويدي علـــــى كبدي وهمت بأنصـــداع

لا تعجـــــبي مـــما رأيـــ ت فنحن في زمن الضيـــاع (٢٢)

و اضطر إلى ترك مرسية و لحق بسرقسطة (الثغر الأعلى من الأندلس) سنة إحدى و ستين و أربعمئة ، و أقام في كنف المقتدر بن هود مدة ، و امتدح ابنه الحاجب المؤتمن[٢٣]، و أكثر المقتدر من بره و علـم إنـه متشوق إلى شعره فمدحه بقصيدة أولها :

أسالت غداة البين لؤلؤ أجفان و أجرت عقيق الدمع في صحن عقيان (٢٤)

و في سنة ٤٦٤ للهجرة عاد إلى المرية و حسن بعد بها مثواه و أكرمه المعتصم و أجزل قراه(٢٥) و مكث فيها، وهو يقول :

و كم خطبتني مصر في نيل نيلها و رامت بنا بغداد ورد فراتهـــا

و لم أرض أرضاً غير مبدأ نشأتي و لو لحت شمساً في سماء ولاتها [٢٦]

و توفي سنة ٤٨٠ هـ رحمه الله و هو القائل :

إلى الموت رجعي بعد حين فإن أمت فقد خلدت خلد الزمان مناقبي

و ذكراي في الآفاق طيباً كأنـــهـــا بكل لسان طيب عذراء كاعـب

ففي أي علم لم تبرز سوابقـــــي و في أي فن لم تبرز كتائبـــي [٢٧]

ثقافته و تصانيفه :-

و كان لابن الحداد ديوان شعر كبير ، و قد أشاد بشاعريته معظم الذين ترجموا له ، فقال ابن بسـام " و شعر ابن الحداد كثير و لا يفي بشرط هذا الكتاب إلا ما كتبت منه "(٢٨). و في التكملـة " و كـان لـه ديوان مدون على حروف المعجم "(٢٩). و في الإحاطة " ديوانه فيه شعر كبير معروف ... و كان لـه بـاع طويل في العروض و تصنيف مشهور في وقته ، مزج فيه بين الألحان الموسـيقية و الآراء الخليليـة "(٣٠). و ذكر ابن عبد الملك(٣١) ثلاثة من تصانيفه المفقودة و هي " المستنبط في علم الأعاريض المهملـة عنـد العـرب " و " قيـد الأوابـد وصيـد الشـوارد " و " الإمتعـاض للخليـل "، و في هـذا الأخـير رد علـى السرقطي المنبوز بالحمار و إسمه سعيد بن فتحون . و فهمه للعروض يتبين من خلال كلامه عـن العـروض و الأوزان و التحريك و الإسكان في قوله :

أيها سقطت على الخبير بحالـهم عند العروض حقائق الأوزان

هم كالقريض وكسره من وزنـه يبدو من التحريك و الإسكان (٣٢)

و كان ملماً بالفلسفة (٣٣) فقد ذكر ابن عبد الملك أنه " كان متقدماً في التعاليم و الفلسفة مبرزاً في فك المعمى ، لا يكاد يدرك فيه شأوه(٣٤) و مشهور عنه اعراضه عن الشعر و رغبته في الإعتكاف على الفلسفة بعد خروجه من المرية بقوله :

و كنت سمير أشعاري سفاهاً فعدت بها لفلسفتي سميرا (٣٥)

و له في الدعوة إلى العلم و البحث عن حقائق العلوم و الفلسفة قوله :

و النفس عادمة الكمال و إنما بالبحث عن علم الحقائق تكمل (٣٦)

و قوله :

و المرء مثل النصل في أصدائه و الجهل يصدي و التفهم يصقل (٣٧)

و في مجال النثر الفني ، أورد له ابن بسام تسع رسائل أدبية يغلب عليها اللوم و العتاب موجهة إلى أشخاص دون ذكر أسمائهم عدا الرسالة الموجهة إلى ابن الحديدي(٣٨)، و الرسالة الموجهة إلى أبي بكر الخولاني المنجم(٣٩). و الأرجح أنه دون معظمها لبيان مقدرته الأدبية ، و أسلوبه فيها لا يبتعد عن أسلوب عصره في الاعتماد على جمل قصيرة مسجعة يغلب عليها الاطناب و التكرار و اشتماله على أبيات شعرية و أمثال كثيرة (٤٠)، و قد يكون هو الذي وجه إليه ابن غرسية (٤١) رسالة في تفضيل العجم على العرب معاتباً إياه في توجيهه قصائده المدحية إلى ابن صمادح العربي النسب دون مجاهد العامري أمير دانية الصقلبى النشأة ، اللذين كانت بينهما عداوة و منافسة ، و هي رسالة قوية شديدة الأسلوب تعكس الصراع الاجتماعي و السياسي في تلك الحقبة ، و لم يرد ابن الحداد على تلك الرسالة التي أثارت زوبعة كبيرة و كثرت الردود عليها(٤٢) ، و مما يؤكد الظن بأن الرسالة في الأصل لم توجه إلى ابن الحداد على الرغم من تشابه الأسماء ، و ما ذهب إليه عبد السلام هارون الذي نشر هذه الرسالة معتمداً على نص الأسكوريال ، يقلقه ما ورد في المغرب بإسم ابن الجزار(٤٣) و في الذخيرة و التكملة بإسم ابن الخراز (٤٤).

شعره:-

كان له ديوان كبير مرتب على حروف المعجم مفقود(٤٥) ، وفي المصادر الاندلسية القديمة نعثر له على قصائد ومقطعات متناثرة مكررة موزعة على المديح والغزل والوصف والزهد والهجاء مع وحدة الموضوع في هذه المقطعات وامتزاجها في معظم القصائد لاسيما المدحية منها على سنة القصائد العربية القديمة ، وقصائده المدحية موجهة إلى المعتصم ابن صمادح الذي حكم المرية الى سنة ٤٨٤ للهجرة . و قد قضى ابن الحداد معظم حياته في كنفه و في كنف بني هود حكام سرقطة (الثغر الاعلى) التي مكث فيها ثلاث سنوات بين٤٦١ -٤٦٤ للهجرة . وكان بلاط المرية مكانا لتجمع الشعراء وطلاب العلم ، و كان المعتصم على الرغم من ضيق امارته يهتم بهم ويوفر لهم العيش الكريم ، وقال ابن الحداد في ذلك :

ولولا طلاب الدّهر غاية علمها　　لما بسطوا منها بسيطا ووافرا (٤٦)

وكان بحاجة إليهم لتدعيم مركزه السياسى في عهد كان التنافس السياسي بين ملوك الطوائف على أشده ، و كانت عبارات الثناء والتعظيم والتفخيم تنشر وتتكرر في المجالس . وقصائد ابن الحداد المدحية لم تخرج عن الموروث القديم ، فكان يصر على تتبع آثار القدامى ، وذكر أسماء و أماكن في المشرق العربي كقوله :

وما كيمنيهِ الفراتُ ودجلةٌ　　وان حكموا ان المرية بغدانُ (٤٧)

وقد اشار ابن بسام في مواضع كثيرة إلى تتبعه لمعاني شعراء المشرق كغيره من الشعراء الاندلسيين الذين كانت وجوههم متوجهة الى المشرق ، ولكنه كان يعاور المعاني بعد تغييرها من حيث الشكل والمعنى بما يدخل في المرغوب والمسموح ، لاسيما ان بعضها قد اتخذ صفة الثبات في الادب العربي ، وكان ابن بسام شديدا عليه كقوله :

" ومعنى هذا البيت منقول من قول المعري "(٤٨). لذلك كانت الصور والتشبيهات مألوفة مع تميزه بسمات تفرضها ظروف العصر وبيئة الأندلس وموهبته في الغناء التي انعكست على موسيقى أشعاره . وكان يجمع بين اسلوب القدامى في الوقوف على الاطلال أو البدء بمقدمات غزلية وطريقة المحدثين في الاستقلال بوحدة الموضوع بما يتناسب مع بواعث القصيدة وظروف الممدوح ، فكانت ألفاظه سهلة مأنوسة عذبة لا توعر فيها ولا تعقيد ، وفيها كثير من الألوان والتكرار بما ينسجم مع مظاهر الحضارة المتأنقة وطبيعة الأندلسيين في تقصي نواحي الجمال و إبرازها .

ومعاني قصائده **المدحية** لم تخرج عما قننه ابن قدامة في العقل والعفة والعدل والشجاعة [٤٩] مع ما أضافه إليها ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة الكرم والوفاء والحزم والعزم وحصافة الرأي والعاطفة الدينية [٥٠] ، و ربما أضاف إليها جمال الممدوح و وقاره وهيبته ، وكانت العاطفة الدينية المحور الرئيس الذي اعتمد عليه في إعلاء مكانة الممدوح في حقبة كان الصراع شديدا بين المسلمين والممالك المسيحية المجاورة الطامعة في أراضي الأندلس ، ومما قاله في ذلك قصيدته في ابن هود ملك سرقطة الذي نهض الى ابن رزدمير ملك نافار و اراغون وافتتح بعض حصونه سنة ٤٦٢ للهجرة:

اذا كان سعي المرء لله وحـــده　　تدانت اقاصي مانحاه ومايحـــو

بك اقتدح الاسلام زند انتصـــاره　　وبيضك نـــار شبَهـا ذلك القـــدح

وجلـــى ظلام الكفـــرمنك بغـــرةٍ　　هي الشمس والهندى يقدمها الصبح [٥١]

و لغرض إبراز مكانة الممدوح حاول ابن الحداد توظيف الطبيعة في الخروج عن المألوف من الصور إلى الأغراب و المبالغة كقوله:

ويا لك من نهر صؤول مجلجل كأن الثرى مزن به دائم الرعد (٥٢)

كما إنه أكثر من ذكر عناصر الطبيعة لا سيما الفواكة و الورود كقوله :(٥٣)

و أذهلها داعي النوى عن تنقب فحيًا محياها بتفاح لبنان

و قد أطبقت فوق الأقاحي بنفسجاً كما خمشت وردا بعناب سوسان

و حاول ربط ممدوحه بأعلام التأريخ من آل ساسان و حاتم الطائي في توظيف خصالهما الحميدة في ممدوحه :(٥٤)

يا من يضيف إليه حاتم طيَء مرعى ولكن ليس كالسعدان

أعطته أهواء القلوب سياسة خفيتْ لطائفها على ساسان

و من موضوعات الآخرى التي تطرق إليها في قصائده المدحية ، التهنئة بمولود(٥٥) و الحث على السلم بين أفراد العائلة المالكة (٥٦) ، و وصف القصور و الأساطيل ... و غيرها من المظاهر المتعلقة بالممدوح ، كما إنه ادلى دلوه في مجال مدح المدن و الذي يعد من الإتجاهات الشعرية الجديدة و التي برزت بشكل واضح بعد تعدد العواصم و التنافس السياسي و الإجتماعي و الفكري و الإقتصادي التي ظهرت بين المدن المختلفة ، فأفاض الشعراء في تعداد محاسن مدنهم و التغني بجمالها بقصائد تسيل فيها عواطف الحب و الوفاء ، و بلغ شاعرنا من شدة أعجابه بمدينته " المرية " ان آثر البقاء فيها وراح يفضلها على غيرها من المدن بقوله :(٥٧)

وكم خطبتني مصر بنيل نيلها ورامت بنا بغداد ورد فراتها

ولم أرض أرضاً غير مبدأ نشأتي و لو لحت شمساً في سماء ولاتها

فلم تستهوه مصر بجمال نيلها و لا بغداد بعذوبة نهرها ، و فضل مدينته على غيرها .

وعلى الرغم من تصنيفه ضمن الشعراء المداحين إلا إنه أشتهر بقصائده **الغزلية** ، فالتقليدية منها لا تختلف كثيراً عن القصائد و المقطعات الغزلية للشعراء الأندلسيين الآخرين ، و من بينها مقطعات عذرية عن الام الحب و الجوى و بيان ما يعانيه من الولع و الزفرات بأسلوب عفيف محافظ كقوله :(٥٨)

يا غائبا خطرات القلب محضَرُه الصُبر بعدك شيء لستُ أقدرهُ

تركتَ قلبي و أشواقي تفطره و دمع عيني و أحداقي تحَدّرهُ

لو كنتُ تبصر في تدبيرِ حالتنا إذنْ لأشفقتَ مما كنتُ تبصره

فالعين دونك لا تخلو بلذتها و الدهر بعدك لا يصفو تكدّرهُ

أخفي إشتياقي و ما أطويه من أسف عن البرية و الأنفاس تظهرهُ

و لملاءمة هذا النوع من الغزل لمجالس اللهو فقد أختار أوزانا قصيرة أو مجزوءة صالحة للغناء كقوله :(٥٩)

أيها الواصل هجري أنا في هجران صبري

ليتَ شعري أي نفعٍ لك في أدمان ضري

و له ما يتغى بالأندلس :(٦٠)

فذر العقيق مجانباً لعقوقـــه ودع العذيبَ عذيب ذا الخـــــال

و المقطعات يغلب عليها الوصف الظاهري في بيان نواحي الجمال و إظهارها كلوحات مزركشة مع التركيز على إبراز نواحي الزينة من الملابس و المجوهرات مما يعكس التأنق الحضاري الذي وصل إليه المجتمع الأندلسي كقوله في وصف قرطق حبيبته :

و بين حصا الياقوت ماء وسامة مخلاة عنه الضباء السوابق

و حشو قباب الرحم أحوى مقرطق كما آس عطفه و القراطق(٦١)

و غزله خال من الاتجاه المكشوف الذي انتشر في تلك الحقبة نتيجة الانحلال السياسي و الاجتماعي ، و برع في مجال يمكن تسميته بـ ((الغزل بالنصرانيات)) .

و قد ذكرت المصادر الأندلسية أنه في شبابه تعلق قلبه بفتاة مسيحية تدعى (جميلة) و كان يسميها في أشعاره بـ (نويرة)(٦٢)، و يردد اسمها على نحو ما هو معروف عند الشعراء السابقين أمثال مجنون ليلى أو ذي الرمة ... و قد اتخذ من عشقها وسيلة للكلام عن الطقوس المسيحية ، فوصف القساوسة و الكنائس و عاداتهم و تقاليدهم و صلواتهم و مراسيم أعيادهم " فخرج عن عادة الشعراء في الإقتصار على أوصاف النفوس و آلامها عن العشق و هذا يدل على شيء من الإبتكار وسعة الخيال و تأثر الشعر و العقول بما يرى في الحياة "(٦٣) و ما يجري في مجتمعهم من اختلاط بين المسلمين و المسيحيين ، و في ذلك يعد ابن الحداد رائداً في هذا المجال لأن كثيراً من الشعراء قد عاشوا مع هؤلاء الناس و اختلطوا معهم دون أن يتبادر إلى خيالهم الخوض في هذا المضمار ، و مما لا ريب فيه إن كثيراً منهم قد تعلقت قلوبهم بفتيات غير مسلمات أو تزوجوا منهن و لكنهم لم ينقلوا تلك التجارب إلى صفحات الأدب ، عدا شاعرنا الذي أجاد في ذلك على الرغم من أنه لم يكن يفز بها ، و كان يكتفي بمجرد النظر إليها من بعد و هي تخدم في الكنيسة ، و الأرجح إنها كانت من الفتيات المترهبات اللاتي يسكن الأديرة و يمارسن الطقوس المسيحية في داخل الجدران ، و قد استغل شاعرنا مناسبة عيد الفصح لرؤية حبيبته ، فوصف مراسيم العيد و طقوسه بقصيدة منها:

فإنّ بي للروم روميـــــةً تكنسُ ما بين الكنيسات

أهيم بها و الهوى ضلـــــةٌ بين صواميع و بيعـــات

وفي ظباء البدو من يـــزدرى بالظبيات الحضـــريات

أفصح وحدي يوم فصح لهم بين الأريطي و الدويحات

و قد أتوا منه إلى موعـــــد و إجتمعوا لميقـــــات

بموقفٍ بين يدي أسقـــف ممسك مصباح و منساة (٦٤)

و القصيدة طويلة تتكون من عدة لوحات بمقدمة عذرية ، مصوّرة بعين عدسية عن بعد ، و نويرة و هي بين فتيات عيسويات مجتمعات كلوحة واحدة ، ثم يعرضها في صور متنوعة و هي تخدم في الكنيسة بملابس حضرية ، و يتوسع بتشكيلاته و البعد المكاني في لوحاته فيصف مراسيم الصباح في عيد

الفصح مركزاً على القس و انعكاس جمال الفتيات عليه من خلال رسم مجسم متعدد الأبعاد لهن و هن يتلون الإنجيل بأصوات عذبة و بينهن محبوبته تظهر كالشمس فتزيد من لوعته شدة تعلق قلبه بها .

و قد وظف الشاعر بعض التقنيات في إظهار التوافق بين الصور الملونة و لوعة قلبه و آهاته ، فاستعان بالتماثل الصوتي و لا سيما في البيت الأول مكرراً التاء في نهاية الألفاظ أربع مرات ، فضلاً عن القافية المردوفة بتكرار التاء والالف ، مع حسن توظيف الألف لإضفاء موسيقى عالية الموجات فيها مد ترابطي ينسجم مع السعة المكانية للقصيدة المتكونة من لوحات عدة ، كما يلاحظ التوافق في استعمال الألوان و الأصوات ، و اختيار كلمات سهلة ذات بريق جمالي و ربطها مع بعضها في جناسات متكررة ضمن وزن قصير .

و قارن إحسان عباس[٦٥] بين تلك القصة و قصة ابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي مستخلصاً القول إن الأخيرة طغت على قصص الحب و الغزل الأندلسي و إنها مثلت العلاقة الاستقراطية بين إثنين من السادة ، بينما ابن الحداد تورط في حب فتاة على غير دينه متحدثاً عن المعاني المتصلة بذلك الدين في حقبة الصراع الديني ، فضلاً عن ذلك فان ابن زيدون بحتري الموسيقى و السياق ، سهل سائغ ، و أما ابن الحداد على رأيه يمثل المثقف بالثقافة الفلسفية العلمية ، و في شعره ميل إلى التعمق الفكري غير المألوف ، و شخصية ولادة كانت معروفة و لها دور في المجتمع الأندلسي بينما كانت نويرة مجهولة لم نعرف عنها سوى الصد المطلق مما جعل ابن الحداد يشكو الوجد و يطلق الزفرات ، و لكنه نجح في تصوير كثير من الطقوس و العادات المسيحية على عكس شعراء العرب النصرانيين الذين لم يألفوا ذلك على الرغم من إعتزازهم بدينهم ، و لم يكن قصد شاعرنا من كثرة ترديده لهذه الأمور التعرض لذلك الدين ، و إنما كان يردد ألفاظ الانجيل و الصليب و القس و التثليث و الزنار لتكون نسمة تحمل إليه عطراً من شذى نويرة [٦٦] ، و كان ابن الحداد في البداية لا يذكر اسمها و لا يصرح بها خوفاً من انكشاف أمره :

سيصبح سري كالصباح مشهراً ويمسي حديثي عرضة المتحدث (٦٧)

و بعد ذلك أخذ يذكر اسمها من خلال مسائل رياضية متعلقة بترتيب الحروف العربية (٦٨)، و لقد لخص تعلقه بتلك الفتاة بقوله :

و رأت جفوني من نويرة كاسمها نارا تضل و كل نار ترشد

و الماء أنت و ما يصح لقابض و النار أنت و في الحشا تتوقد (٦٩)

و إذا كان دقة ابن الحداد في التقصي عن الجمال قد أجاد عنده الغزل فإنه لا ريب فيه قد أعطاه قوة ملاحظة دقيقة في تصوير ما تقع عيناه عليه من مظاهر الطبيعة ، الحية و الصناعية ، كرسام بارع يجيد الوصف مستعيناً بثقافته الفلسفية في تجسيم الأشياء و تصوير ما وصلت إليه العمارة الأندلسية من التطور و الإبداع ، فوصف القصور و المباني و النوافير ... ضمن قصائد مدحية و كان يعمد إلى

تصويرها و هي مزدهية بأصحابها من الملوك و الأمـراء ، و يحتـل قصر ابـن صمـادح حيزاً كبـيراً مـن أوصافه ، فيصف الجوانب المختلفة منه كالقبة التي يربطها بمجلسه قائلاً :

راس يظهـر النون إلا إنه سام فقبته بحيث النـــون

هو جنة الدنيا تبوأ نزلها ملك تملكه التقى و الدين (٧٠)

و يظهر فيها مقدرته في الهندسة و الرياضيات كقوله :

و كأن راسم خطه اقليـدس فموائل الأشكال فيه فنـون

من دائر و مكعب و مخين و معجم تلويسه التخجين (٧١)

و اشتهرت مدينة المرية ، بقاعدتها البحرية و أسطولها الذي ربطه الشاعر بمكانة ابـن صمـادح في الدفـاع عن الجزيرة بقوله :

هام صرف الردى بها الأعادي إنْ سمتْ نحوهم لها أجيادُ

و تراءتْ بشرعهـــا كعيـون دأبها مثل خائفيها سهاد

ذات هدب من المجاذيب حاكٍ هدب باك لدمعه إسعـاد

حمم فوقها من البيض نـــار كل من أسلت عليه رمـاد

و من الخط في يدي كـــل در ألف خطها على البحر صاد (٧٢)

يصور الأسطول على صورة إنسان يأخذ من صفاته الحسية و المعنوية ، كمـا لـه مقـاطع في وصـف هـلال العيد(٧٣)، و وصف لاعب مصري حضر بلاط ابـن صمـادح فانبـهر الحـاضرون بألعابـه البهلوانيـة(٧٤) ، و وصف النفس البشرية و ما في قلوب الناس من الضغائن و الأحقاد كقوله :

و الناس أغربة إذا قايستهم وأخو المصافاة الغراب الأبيض (٧٥)

فشبه الوفي من الناس بالغراب الأبيض لندرته ، و هي نظرة قاتمة سيطرت عليه في مرحلـة معينـة مـن عمره عندما شعر بالاغتراب و الإحباط ، و له في المرأة ما يشبه ذلك .(٧٦)

أما مظاهر الطبيعة فهي المنبع الذي اسـتقى منـه الشـاعر صـوره ، و هـي سمـة عامـة للأندلسـيين نتيجة تأثرهم بجمال الطبيعة و سحرها ، فمقدماته المدحية خالصة للطبيعة كقوله :

سل ألبانة الغيناء عن ملعب الجرد و روضتها الغناء من رشأ الأسد (٧٧)

أو قوله :

و يا لك من نهر صؤول مجلجل كأن الثرى مزن به دائم الرعـــــد

إذا صافحته الريح تصقل متنه و تصنع فيه صنع داود في السرد (٧٨)

و من جانب آخر و على الرغم من انتشار ظاهرة **التزهد** في عصـر الطوائـف نتيجـة فوضـى الحيـاة و حالة المجتمع التي كانت تـزداد سوءاً فإنـها لم تصبـح مذهبـاً أخلاقيـاً أدبيـاً عنـد شـاعرنا يكـون مصدره الورع و التقوى وما نقل عنه من أبيات كان مصـدره ثقافتـه الفلسـفية أو مـا حـل بـه مـن التشريد أو الفاقة بعد خروجه من المرية (٧٩)، أو ما يمكن تسميته بزهد الشيخوخة بعد تقدم العمر به ، حيث يظهر الأسلوب التعليمي الوعظي في شعره كقوله :

حيثما كنت ظاعنا أو مقيماً دم رفيعاً و عش منيعاً سليماً (٨٠)

أما في مجال الهجاء فان أدبه لم يمنعه من الوقوع في شباك السمسير(٨١) المشهور بغلاظة لسانه و الذي قال فيه :

قالوا ابن حداد فتى شاعر قلت و ما شعر ابن حداد

أشعاره مثل فراخ الزنـــــى فتش تجد أخبث الأولاد (٨٢)

و وجد له مقطعة هجائية سنة خمس و خمسين و أربعمئة ، و أخذ عليه إنه همز ما لا يهمز رموها بنقص بينت فيهم نقصهم و من لمس الأفعى شكا ألم النكز (٨٣)

و أخيراً نقول إن الطابع العام الذي اتسم به شعره هو جنوحه إلى الألفاظ الفصيحة السلسلة العذبة الواضحة المعاني ، مع تأثير واضح للطبيعة في صوره ، و اختيار ألفاظه و حسن موسيقاه الداخلية المتجلية في جناساته المتكررة و توظيفه الجيد لحروف المد ، مع تعمده لاستعمال ألفاظ فلسفية و تاريخية و هندسية لبيان مقدرته الثقافية دون التعمق في التأمل .

الهوامش

---

(١) الذخيرة ١ / ٢ : ٦٩١

(٢) وفيات الأعيان ٥ : ٤١

(٣) ينظر : المغرب ٢ : ١٤٣ ، المطمح : ٨٠ ، التكملة : ٣٩٨ ، الذيل و التكملة : ٦ : ١٠ ، الأحاطة ٢ : ٢٥٠ ، النفح ٤ : ٢٤٦ ، ٩ : ٢٣٨ ، الخريدة : ٢ : ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ٥ : ٤١ ، الوافي : ٢ : ٨٦ ، الفوات : ٣ : ٢٨٣ ، الرايات : ٧٤ ، المسالك : ٤٠٠ ، المحمدون من الشعراء : ٩٩ ، السلفي : ١٧ ، الزركش : ٢٦٢ ....

(٤) الذخيرة : ١ / ٢ : ٦٩١

(٥) المغرب ٢ : ١٤٣

(٦) المطمح : ٨٠

(٧) التكملة ١ : ٣٩٨

(٨) وفيات الأعيان : ٥ : ٤٩

(٩) النفح ٩ : ٢٣٨

(١٠) الذخيرة ١ / ٢ : ٦٩١

(١١) النفح ٥ : ٥٠

(١٢) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٣٢ ـ ٧٣٣

(١٣) تأريخ الفكر الأندلسي : ١١٢

(١٤) الذيل و التكملة ٦ : ١٠

(١٥) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٤٢

(١٦) النفح ٥ : ٥٠

(١٧) نفسه ٥ : ٥٠

(١٨) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٤٢ ، النفح ٥ : ٥٠

(١٩) نفسه ١ / ٢ : ٧٢٥

(٢٠) نفسه ١ / ٢ : ٧٤٢ ، النفح ٥ : ٢٣٨

[٢١] النفح ٥ : ٤٨

[٢٢] نفسه ٥ : ٢٨٧

[٢٣] الذخيرة ١ / ٢ : ٦٩٢

(٢٤) نفسه ١ / ٢ : ٧٢٥

[٢٥] الذخيرة ١ / ٢ : ٧٢٩

(٢٦) نفسه ١ / ٢ : ٧١٤

[٢٧] النفح ٥ : ١٩٢

[٢٨] الذخيرة ١ / ٢ : ٧٢٩

(٢٩) التكملة ١ : ٣٩٨

(٣٠) الاحاطة ٢ : ٣٣٣ ، المغرب ٢ : ١٤٣

[٣١] الذيل و التكملة : ٧٠

(٣٢) الذخيرة ١ / ٢ : ٧١٨

[٣٣] نفسه و الصفحة

[٣٤] الذيل و التكملة : ٧٠

[٣٥] نفسه ١ / ٢ : ٦٩٢

[٣٦] نفسه ١ / ٢ : ٧٢٢

[٣٧] نفسه و الصفحة

[٣٨] من كبار الأعلام في الطليطلة ، البيان المغرب ٣ : ٢٧٧

[٣٩] منجم المعتمد أمير أشبيلية ، الخريدة ٢ : ٥٨٤

[٤٠] للرجوع إلى الرسائل ينظر الذخيرة ١ / ٢ : ٦٩٢ - ٧٠٤

[٤١] أحد الأدباء مجاهد العامري أمير دانية و الجزائر الشرقية في عصر الطوائف ، و إسمه أبو عامر أحمد بن غرسية ، سبي صغيرا ، و أدبه مجاهد مولاه ، المغرب ٢ : ٤٠٦

[٤٢] في تحليل الرسالة و الردود عليها ينظر : تأريخ الأدب الأندلسي / عصر الطوائف : ١٧١ – ١٧٦

[٤٣] المغرب ٢ : ٤٠٦

[٤٤] الذخيرة ٣ / ٢ : ٧٠٤ ، التكملة : ٤٢٣

[٤٥] التكملة ١ / ٣٩٨

[٤٦] الذخيرة ١ / ٢ : ٧١٧

[٤٧] نفسه ١ / ٢ : ٧٤٢

[٤٨] نفسه ١ / ٢ : ٧١٢

[٤٩] نقد الشعر : ٣١

[٥٠] العمدة ٢ : ١٢١ – ١٣٢

[٥١] الذخيرة ١ / ٢ : ٧٢٧

[٥٢] الذخيرة ١ / ٢ : ٧١٩

[٥٣] نفسه ١ / ٢ : ٧٢٥

[٥٤] نفسه ١ / ٢ : ٧١٨

[٥٥] نفسه ١ / ٢ : ٧٢٧

[٥٦] نفسه ١ / ٢ : ٧٢٨

كتيبخانەى زانكۆ
دوربات
كۆدار رۆژنامەڤانيەرە دەكريەوە

(٥٧) نفسه ١ / ٢ : ٧١٤

(٥٨) النفح ٥ : ١٩١

(٥٩) نفسه ٥ : ١٩٢

(٦٠) نفسه ٥ : ٤٩

(٦١) مختارات من الشعر الأندلس : ١٣٧

(٦٢) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٠٨

(٦٣) بلاغة العرب : ١٨٥

(٦٤) ينظر إلى القصيدة الكاملة من الذخيرة ١ / ٢ : ٧٠٥ – ٧٠٦ ، وردت أبيات من القصيدة في الخريدة ٢ : ٢٦٧ منسوبة خطأ للآسعد بن بليطة .

(٦٥) تأريخ الأدب الأندلس من عصر الطوائف و المرابطين : ١٥٩

(٦٦) إتجاهات شعر الغزل في عصر الطوائف : ٢١٢

(٦٧) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٠٦

(٦٨) نفسه ١ / ٢ : ٧٠٧

(٦٩) نفسه ١ / ٢ : ٧٠٤

(٧٠) المغرب ٢ : ١٤٤ ، النفح ٥ : ٢٤٠

(٧١) النفح ٥ : ٢٤٠

(٧٢) النفح ٥ : ١٩٨

(٧٣) نفسه ٥ : ٢٤١

(٧٤) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٢٤

(٧٥) الخريدة ٤ / ٢ : ١٨٢

(٧٦) النفح ٥ : ٥٠

(٧٧) الذخيرة ١ / ٢ : ٧١٩

(٧٨) الذخيرة ١ / ٢ : ٧١٩

(٧٩) ينظر قصيدة الحديقة ، الذخيرة ١ / ٢ : ٢٠١ ، التكملة : ٣٩٩

(٨٠) النفح ٥ : ٥١

(٨١) شاعر هجاء مشهور ينظر ترجمته الذخيرة ١ / ٢ : ٨٨٤

(٨٢) الذخيرة ١ / ٢ : ٣٨٢

(٨٣) النفح ٥ : ٤٩

المصادر و المراجع

١. إتجاهات شعر الغزل في عصر الطوائف ، لإنقاذ عطا الله ـ رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ١٩٨٦ م .

٢. الاحاطة في اخبار غرناطة ، للسان الدين ابن الخطيب ـ تح : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٧ م .

٣. بلاغة العرب في الأندلس ، لأحمد ضيف ـ ط (٢) مط الإعتماد ، القاهرة ١٩٧٨م .

٤. تاريخ الأدب الأندلس (عصر الطوائف و المرابطين) إحسان عباس ـ ط (٧) ، دار الثقافة ، بيروت.

٥. تاريخ الدولتين ، للزركشي ـ مط الأستانة ١٨٩٥ م .

٦. تاريخ الفكر الأندلسي ، لأنخل جنثالث بالثنيا ـ تعريب حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .

٧. تكملة الصلة ، لابن الآبار البلنسي ـ نشر و تصحيح عزت العطار الحسيني ، القاهرة ١٩٥٥ م .
٨. خريدة القصر (قسم المغرب و الأندلس) ، لعماد الدين الأصفهاني ، تح : محمد المرزوقي ، تونس ١٩٦٦ م .
٩. دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، لمحمد عبد الله عنان ـ مط لجنة التأليف و النشر ، القاهرة ١٩٦٠ م .
١٠. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام ـ تح : إحسان عباس ، دار العربية للكتاب ، ليبا ـ تونس ١٩٨٥ـ ١٩٨١ م .
١١. الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، لابن عبد الملك المراكشي ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٥٦ م .
١٢. رايات المبرزين و غايات المميزين ، لابن سعيد الأندلسي ـ تح : نعمان عبد المتعال ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية ، القاهرة ـ ١٩٧٧ م .
١٣. رسالة ابن غرسية و الردود عليها ـ تح : عبد السلام هارون ، دار المعارف القاهرة د.ت .
١٤. الصلة ، لابن بشكوال ـ الدار المصرية لتأليف و الترجمة ، مصر ١٩٦٦ م .
١٥. العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، لابن رشيق القيرواني ـ تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مط السعادة ، مصر ١٩٦٣ م .
١٦. فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ـ مط بولاق آوفسيت د. ت .
١٧. المحمدون من الشعراء ، للقفطي ـ مصورة ، دار الكتب رقم ١٤٣١ .
١٨. مختارات من الشعر الأندلسي ، لـ أ ، نيكل ـ دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٩ م .
١٩. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، لشهاب الدين بن فضل الله العمري ـ مصور دار الكتب رقم ٥٥٩ ، (معارف عامة) .
٢٠. مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح الأندلس ، للفتح بن خاقان ـ مط الجوائب ، الأستانة ١٣٠٢ هـ .
٢١. المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد المغربي ـ تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٤م .
٢٢. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطب ، للمقري التلمساني ـ تح : إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٦٨ م .
٢٣. نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ـ تح : كمال مصطفى ، مكتبة المثنى ، بغداد د. ت .
٢٤. الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أبيك ـ دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
٢٥. وفيات الأعيان و إبناء أنباء الزمان ، لابن خلكان ـ تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة ، مصر١٩٤٥ م .

الملحق

ما أخرجته من المدائح في أميره ابن صمادح

من ذلك قصيدة أولها: [١]

لعلك بالوادي المقدّس شاطيء ... فكالعنبر الهنديّ ما أنا واطيءُ
وإني في ريّاك [٢] واجدُ ريحهم ... فروَح [٣] الهوى بين الجوانح ناشيء
و لي في السرى من نارهم و منارهم ... هُداةٌ حُداةٌ [٤] و النجوم طوافيء
لذلك ماحنّت ركابي و حمحمت ... عرابي و أوحى [٥] سيرُها المتباطيء
فهل هاجها ما هاجني أو لعلّها ... إلى الوخد من نيران وجدي لواجيء
رويدا فذا وادي لبيني و إنه ... لوِرْدُ لباناتي وإنّي لَظامييء
ميادِيُن [٦] تهيامي و مسرح ناظري ... فللشوقِ غايات به و مباديء
و لا تحسبوا غيداً حمتها [٧] مقاصر ... فتلك قلوبٌ ضُمنّتها جآجيء

محاملَة السّلوان مبعثُ حسنـــــه فكلٌ إلى دين الصَّبابة صـابـــــىء
فكيف أُرَفي كلمَ طرفكِ في الحـشـــا و ليس لتمزيق المهنَّـد رافـــــىء
و ما لي لا أسمو مُرادا و هـــمـــةً و قد كرُمت نفسٌ و طابتْ ضآضىء (٨)
و ما أخرتني عن تناه مـــبـادىءٌ و لا قصَّرتْ بي عن تباهٍ مناشـــىء
و لكنّه الدهرُ المناقضُ فـــعـلُـه فذوالفضل منحطٌ و ذوالنقص نامىء
كأنَّ زماني إذ رآني جُذَيـــلـــه قلاني فلي منه عدو مـمـالـــــىء
فداريتُ إعتابا و دارأتُ عاتبـــاً و لم يغنني أني مُدار مِـــــداراىء
فألقيت أعباءَ الزمانِ و أهلـــــه فما أنا إلاّ بالحقائق عابـــــىء
و لازمتُ سمت الصمت لاعن فدامةٍ فلي منطقٌ للسمع و القلب مـالـــىء
و لولا علا الملك ابن معن محمَّـد لما بَرَحتْ أصدافهنَّ الـــلآلـــىء
لآلىءُ إلاّ أنّ فـــكـــريَ غـائـص و علمي دأماءٌ و نُطقي شـــاطـــىء
تجاوز حدَّ الوهم و اللحظِ و المنى و أعشى الحجى لألأوه المـــتلالـــىء
فتنعكسُ الأبصارُ و هي حواســرٌ و تنقلبُ الأفكار و هي خـــواســىء

و أورد ابن خلكان البيتين الآتيين ضمن القصيدة:(٩)

و يا حبذا من آل لبنى مواطن و يا حبذا في أرض لبنى مواطىء
و في الكلة الزرقاء مكـــلأ عزه تحف به زرق العوالي الكوالـــــىء

*****

و أورد له المقطعة التالية بصورة مستقلة:(١٠)

تمنى مدى قرطيه عفر تـــــوالـع و تهوى ضيا عينيه عين جـــوازىء
و في ملعب الصدغين أبيض ناصـــع تخلله للحسن أحمر قـــانـــىء
أفاتكة الألحاظ ناسكة الـــــهوى ورعت ولكن لحظ عينيك خاطـــىء
و آل الهوى جرحى و لكن دماءهـــم دموع هوام و الجروح مـــآقـــىء
و كيف أعاني علم طرفك في الحشـــا و ليس لتمزيق المهند راقـــــىء
و من أين أرجو برء نفسي من الجـوى و ما كل ذي سقم من السقم بـارىء

*****

و له :(١١)

إلى الموت رجعي بعد حين فأن أمت فقد خلدت خلد الزمان مناقبي
و ذكراى في الآفاق طيبا كأنـهـــا بكل لسان طيب عذراء كـاعب
ففي أي علم لم تبرّز سوابـــقـي و في أي فن لم تبرّز كتـائـبي

*****

و في الغزل قال :(١٢)

قلبي في ذات الأثـــيـــلات رهين لوعات و روعـــات
فوجها نحوهم إنـــــهـــم و إن بغوا قبلة بغيـاتـي
و عرسا من عقدات اللـــوى بالهضبات الزهريـــات
و عرجا يا فتيي عـــامـــر بالفتيات العيسويـــات
فان بي للروم رومـــيـــةً تكنس ما بين الكنيسات
أهيمُ فيها و الهوى ضـلـــةٌ بينَ صواميع و بيعـــات
و في ظِباء البدو منْ يـزدري بالظبيات الحضريـــات
أفصحُ وحدي يوم فصح لهم بين الأريطي و الدُّويحات
و قد أتوا منه إلى مـــوعـــدٍ و اجتمعوا فيه لمـيقـات
بموقف بين يدى أســـقـــفٍ ممسك مصباحٍ و منســـاه
و كل قسٍ مظهر لـلـــتـــقي بأي إنصاتٍ و إخـــبـات
و عينهُ تسرح في عينـــهـــم كالذئب يبغي فرس نعجات
و ايُّ مرءٍ سالم من هـــوى و قد رأى تلك الظبيـــات
فمن خدودٍ قمريـــــات على قدودٍ غصنيـــات
و قد تلوا صحف أناجيلهـــم بحسن ألحانٍ و أصـــواتٍ
يزيدُ في نفر يعافرهـــــم عني و في ضغط صباباتـــي
و الشمس شمس الحسنِ بينهم تحت غمامات اللثامـــات
و ناظري مختلسٌ لمحهـــا و لمحُها يُضرمُ لوعاتـــي
و في الحشا نارٌ نويريـــةٌ علّقتُها منذ سنيّـــات
لا تنطفي وقتاً و كم رُمتهـــا بل تلتظي في كل أوقاتـــي
فحيّ عني رشا المنحـــنـــى و إنْ أبى رجعَ تحياتـــي

و له :(١٣)

خليلى من قيس بن عيلان خلّـيا ركابي تُعرج نحو منعرجاتهـــا
بعيشكما ذات اليمين فإنـــنـــي أراح شمَ الرّوح من عـــقداتهـــا
فقد عبقتْ ريحُ النَّعامى كأنمـــا سلام سليمي راحَ في نفحاتـهـــا
و تيماءُ للقلب المتيّم مـــنـــزلٌ فعوجا بتسليمٍ على سلماتهـــا
و إن تُسعدا من أسلم الصبرُ قلبـــه يعرس بدوح البان من عرصاتها

فبانتُها الغيناءُ مألفُ بانـــــــة ... جنيتُ الغرامَ البرح من ثمراتهـــا
و روضتها الغنّاء مسرَحُ روضـــةٍ ... تبخترُ في الموشيّ من حبراتـهـــا
هنالك خوطُ في منابت عـــــزّةٍ ... تخالُ القنا الخطيَّ بعضَ نباتهـا
مشاعرُ تهيامٍ و كعبةُ فتـــنـــةٍ ... فؤادي من حُجّابها و دعاتـهـــا
فكم صافحتني في مناها يدُ المنى ... و كم هبَّ عرفُ اللّهو من عرفاتها
عهدتُ بها أصنام حسنٍ عهـدنني ... هوى عبدَ عُزّاها و عبدَ مناتـهـا
اهلٌ بأشواقي إليها و أتقـــــي ... شرائعها في الحُبِّ حقَّ تُقاتـــهـا
غرامٌ كإقدام ابن معنٍ و مـغـــرمُ ... كإنعامِهِ و الأرضُ في أزماتـــهـا

و منها :

و كم قد رأت رأي الخوارج فرقـةٌ ... فكنتَ عليّاً في حروب شراتـــهـا
بعزم أبيّ لا يُرَدُّ مـــضـــاؤه ... و هل تُملك الأفلاك عن حركاتها ؟
هو الجاعلُ الهيجا حشاً و سنانه ... هوى فهو لا يعدو قلوبَ كـماتهـا

و منها :(١٤)

و كم خطبتني مصرُ في نيل نيلـــهـا ... و رامَتْ بنا بغدادُ وردَ فـــراتهـا
و لم أرض أرضاً غير مبدإ نشأتـــــي ... و لو لحتُ شمساً في سماء ولاتها
و لي أملٌ إن يسعد السّعدُ نلـــتـــهُ ... و يفهمُ سرَّ النفسِ في رمزاتـــهـا
و أسنى المنى ما نيل في ميعةِ الصّبا ... و هل تحسنُ الأشياء بعد فواتها ؟

و قال في الغزل :(١٥)

حديثك ما أحلى فزيدي وحدثـــي ... عن الرشا الفرد الجمال المثلـث
و لا تسأمي ذكراه فالذكر مؤنسـي ... و إن بعث الأشواق من كل مبعـث
و بالله فارقي خبل نفس بقـولـه ... و في عقد وجدي بالإعادة فانـفثي
أحقاً و قد صرحت مابي أنـــه ... تبسم كاللاهي بنا المتـعبـث
و أقسم بالإنجيل إني لمـــائـن ... و ناهيك دمعي من محق محـنـت
و لا بد من قصي على القس قصتي ... عساه مغيث المدنف المتغـوث
فلم يأتهم عيسى بدين قـســاوة ... فيقسو على مضنى و يلهو بمكرث
و قلبي من حسن التجلد عاطـــل ... هوى في غزال الواديين المرعَّـث

و سيصبح سري كالصباح مشهراً و يسمي حديثي عرضة المتحدث
و يغري بذكرى بين كأس و روضة و ينشد شعري بين مثنى و مثلث

*****

كما له :(١٦)

نوى أجرت الأفلاك و هي النواعج و أطلعت الأبراج و هي الهوادج
طواويس حسن روعتني ببينها غرابيب حزن بالفراق شواحج
موائس قضب فوق كثب كأنما تحمل نعمان بهن و عالج
و ما حزني ألا تعوج حدوجهم لو الهودج المزرور منهن عائج
مضرّج برد الوجنتين كأنما له من ظبات المقلتين ضوارج
و ما الدهر إلا ليلة مُدلهمة و كونُ ابن معن صبحها المتبالج
كأنك في الأملاك نقطة دائر و أملاكها منها خطوط خوارج
سماح و إقدام و حلم و عفة مزجن فأبدى مهجة الفضل مازج
فقد صاك من فضل العوالم طيبه و هل يكتم المسك الذكي نوافج
مساع أحلّتك العلا فكأنها مراق إلى حيث السها و معارج

*****

و مما ينسب له:(١٧)

فعيسى بن مريم و بما فيكم نهجْ
و الصليب الذي عليه على زعمكم عرجْ
و بتثليت الذي ليس بالعقل يزدوج
و قصر مماتك التي بك تزهى و تبتهج
يوم يأتون بالدواجن و الصلب و السرج
و السواقين في الأناشيد كالطير في الهزج
عطفةً عطفةً على مستهام بكم لهج
و الهوى من نويرة غرق العين في لجج
و فؤادي إلى نويرة مادمت منزعج

*****

جاء في النفح إنه قال في المعتصم :(١٨)

يا طالب المعروف دونك فأتركن دار المرية و أرفض ابن صمادح
رجل إذا أعطاك حبة خردل ألقاك في قيد الأسير الطائح
لو قد مضى لك عُمر نوحٍ عنده لا فرق بينك و البعيد النازح

فأغتاظ عليه و أبعده ففر عن بلده .

و كان ابن ردمير قد بنى على بعض حصون سرقسطة ، فنهد له المقتدرُ ، و أسرى إليه ، و أناخ عليه ، و ابن ردمير في جموعهُ يُشرف على ذلك من بعض جباله ، ثم عطف المقتدر على بعض حصونه و افتتحه ، و انصرف غانماً إلى سرقسطة سنة اثنتين و ستين ، فقال يصف ذلك :(١٩)

مضاؤك مضمونٌ له النصرُ و الفتحُ ... و سعيُك مقرونٌ به اليمنُ و النّجحُ

إذا كان سعيُ المرءِ للهِ وحده ... تدانت أقاصي ما نحاه و ما ينحو

بك اقتدح الإسلام زند إنتصاره ... و بيضك نارٌ شبها ذلك القدحُ

و جلىَّ ظلام الكُفر منك بغرةٍ ... هي الشمس و الهنديُّ يقدمها الصبح

فهم ذهلوا عن شرعهم وحدوده ... فقد عطّل الإنجيلُ و أطرحَ الفصح

*****

و له فيه من أخرى أولُها :(٢٠)

و قفوا غداة النَّفرِ ثمَّ تصفحوا ... فرأوا أُسارى الدَّمع كيف تُسرحُ

و فيها يقول :

كافأتَ متجهي بوجهي نحوكُم ... و نواظرُ الأملاك نحويَ طمحُ

أيامَ روَّعني الزمانُ بريبه ... و أجدَّ بي خطبُ الفرار الأفدحُ

و لئن أتاني صرفُهُ مِن مأمني ... فالدَّهرُ يُجملُ تارةً و يجلّح

فكأنما الإظلام أيمٌ أرقطٌ ... و كأنما الإصباحُ ذئبٌ أضبح

صدعَ الزمانُ جميعَ شملي منحياً ... إنَّ الزمانَ مُملَّكُ لا يُسجح

فقضى بحطّي عن سمائي و اقتضى ... رحلاً تُطيحُ ركائبي و تطلح

يممتَها سرقسطة و هي المدى ... و الدَّهرُ يكبح و إعتزامي يجمح

حيثُ العُلا تجلى و آثارُ المُنى ... تُجنى و ساعيةُ المطالب تُنجح

و النفس توقن أنَّ عهدكَ في النّدى ... موفٍ بما طمحتْ إليه و تطمح

فحيا المنى من بحر جودك يمتري ... و سنا الضُّحى من زند مجدك يقدح

و منها :(٢١)

و الشعرُ إن لم أعتقدهُ شريعةً ... أمسي إليها بالحفاظ و أُصبحُ

فبسحرهُ مهما دعوتُ إجابةٌ ... و لفكرهُ مهما اجتليتُ توضح

فاذخر مِن الكلم العليّ لآلئاً ... يبأى بها جيدُ العلاء و يبجحُ

و اربأ بمجدكَ عن سواقط سقّط ... هي في الحقيقة مقدحُ لا ممدح

و نظامُ ملكك رائقٌ متناسـبٌ فكما جللتُم فليجلَّ المـدَّح

و له :(٢٢)

و يا لك من نهرٍ صؤولٍ مجلـجـلٍ كأنّ الثرى مزنٌ به دائم الرعـد
إذا صافحته الريحُ تصقلُ متنـه و تصنعُ فيه صنع داود في السَّرد
كأن يد الملك ابن معنٍ محـمـدٍ تفجرّه من منبع الجود و الرّفـد
و يرفل في أزهاره و اخـضـراره كما رفلت نعماه في حلل الحمـد
و قد وردت في غمره نُهَّل القطـا كما ازدحمت في كفّه قُبلُ الوفـد
مفيض الأيادي فوق أدنى و أرفعٍ و صوب الغوادي شامل الغور و النَّجد
فمن جوده ما في الغمامة من حيـاً و من نوره ما في الغزالة من وقـد
تلألأ كالإفرند في صارم النُـهـى و كُرَّر كالإبريز في جاحم الـوقـد
و إن و لهتْ فيه أُذيهان معشـرٍ فلا فضل للأنوار في مقلة الخـلـد
و منك أخذنا القول فيك جلالـةً و ما طالب ماءُ الورد إلاَّ من الـورد

و لهُ فيه من أخرى :(٢٣)

لقد سامني هوناً و خسفاً هواكُم و لا غروَ عزُّ الصَّبّ أن يتعـبّـدا
إذا شئتَ تنكيلاً و تنكيد عيشةٍ فحسبُكَ أن تهوى سليمى و مهـددا
و إن تبغ إحساناً و إحماد مقصدٍ فحسبُكَ أن تلقى ابن معنٍ محـمـدا
حليمٌ و قد خفّت حلومٌ فلو سرى بعنصرِ نارِ حلمه ما تصـعَّـدا
جوادٌ لو أن الجود بارى يمينـه لكان قرارُ الحرب في الناس سرمـدا
ذكيٌ لو ان الشمس تحوى ذكاءه لما وجد الظمآنُ للماء مـوردا
و لو في الحداد البيض حدَّةُ ذهنه لما صاغ داودُ الدّلاصَ المسـرَّدا

*****

و له أيضاً :(٢٤)

فأيَّ جَنانٍ لم يدَع نهبَ لـوعـةٍ و قد لاح من تلك المحاسن في جند ؟
و في صدغه الليليّ نارُ حباحـبٍ من القرط يصلاها حبابٌ من العقـد
و في زنده الريّان سورٌ تعـضـُّه فيدمى كما ثار الشّرارٌ من الزَّنـد
أحاذرُ أن ينقدُ ليناً فأنثـنـي بقلبٍ شفيقٍ من تثنيه منـقـد
و قد جرحت عيناى صفحةَ خدّه على خطأ فاختار قتلي على عـمـد
و آمل من دَمعي إلانة قلـبـه و لا أثرٌ للغيثِ في الحجَرِ الصَّلـد

و إني بذات الأيك أُسعدُ ورقـــهُ فهل عند ذات الطّوق ما للهوى عندي

*****

و له في وصف أسطول ابن صمادح :(٢٥)

هام صرْفُ الردى بهام الأعادى إنْ سَمَتْ نحوهم لها أجياد

و ترءات بشرعها كعـــيـــون دأبها مثل خائفيها سـهاد

ذات هدب من المجاذيف حـاكٍ هُدبَ باك لدمعه إسعـــادُ

حمّم فوقها من البيض نـــار كل من أرسلَت عليه رمـاد

و من الخط في يدي كـــل در ألفُ خَطُّها على البحر صاد

*****

و له يهنىء المؤتمن بن المقتدر بن هود بمولودٍ من جملة قصيدة :(٢٦)

فبشّر سماء السّنا و السّنـاء بنجم هُدى لاح في آل هـود

بمقتبسٍ من شموس النّفوس و مقتدحٍ من زناد السّعود

هلالٌ تألق من بدرِ سـعـدٍ و مزنٌ تخلّق من بحر جود

شهابٌ من النّيرين استـطـار لإرداء كلّ مريدٍ عـنيـد

و نصلٌ إذا تمَّ منه انتـضـاءٌ فويحَ العدا من مبيرٍ مبيد

تبيّن فيه كُمونُ الـــزكـاو و يا رُبَّ نار بمحجرَ عـود

*****

و من شعره في النسيب و ما يتصل به من الأوصاف :(٢٧)

أيا شجراتِ الحيّ من شاطىء الوادي سقاك الحيا سقياك للدَّنفِ الصادي

فكانت لنا في ظلّكنَّ عشـــيـــةٌ نسيتُ بها حسناً صبيحةَ أعيـادي

بها ساعدتني من زماني سـعـادةٌ فقابلني أُنسُ الحبيبِ بإسـعـادي

فيا شجراتٍ أثمرتْ كـــلَّ لـــذَّةٍ جناك لذيذٌ لو جنيتِ على الغـادي

فهل لي إلى الظّبي الذي كان آنسـاً بظلك من تجديد عهدٍ و تـــرداد

و قلبي إلى أغصان دوْحك طائـــرٌ ينوحُ و يشدو و الهوى نائحٌ شـاد

و له فيه من اخرى :(٢٨)

سل البانة الغيناء عن ملعبِ الجـرد و روضتها الغنّاء عن رشأ الأســدِ

و سجسج ذاك الظّل عن ملهب الحشا و سلسل ذاك الماء عن مضرم الوجد

فعهدي به في ذلك الدَّوحِ كانـــساً و من لي بالرُّجعى إلى ذلك العـــهد

و في الجنَّةِ الألفاف أحورُ أزهـــرٌ تلاعبُ قُضْبَ الرَّند فيه قنا الهـند

*****

و في نويرة قال :(٢٩)

و رأتْ جفوني منْ نويرةَ كاسمها ... ناراً تضِلُّ و كلُّ نارٍ ترشـــد

و الماء أنتِ و ما يصحُ لقابـضٍ ... و النارُ أنت و في الحشا تتوقد

*****

و كان له ابن شاعر فعرض عليه شعراً نظمه فأعجبه فقال :(٣٠)

شعرك كالبستان في شكلـه ... يجمع بين الآس و الـورد

فاصنع به إن كنتَ لي طائعاً ... ما يصنعُ الفارس بالبند

*****

وجاء في الإحاطة :

حدث بعض المؤرخين مما يدل على ظرفه ، أنه فقد سكناً عزيزاً عليه ، و أحوجت الحال إلى تكلف سـلْوه ، فلما حضر الندماء ، و كان قد رصد الخسوف بالقمر ، فلما حقق إنه قد إبتدأ ، أخذ العود و غنىّ .

شقيقك غُيِّبَ في لـحـــــده ... و تشرق يا بدرُ من بعده

فهلاّ خسفت و كان الخسوف ... حدادا لبست على فقـده

و جعل يرددها و يخاطب البدرُ ، فلم يتم ذلك ، إلا و اعترضه الخسـوف و عظـم مـن الحـاضرين التعجب (٣١).

*****

و هو القائل بعد خروجه من المرية من قطعة فلسفية :(٣٢)

لزمتُ قناعتي و قعدتُ عنـهـم ... فلستُ أرى الوزيرَ و لا الأمـــيرا

و كنتُ سميرَ أشعاري سفاهـــاً ... فعدتُ لفلسفياتي ســمـــــيرا

يا زائراً ملأ النواظر نـــــورا ... و النفسَ لهواً و الضلوعُ سروراً

لو أستطيعُ فرشتُ كلَّ مسالكي ... حدقاً و بيضَ سوالفٍ ونحـــورا

فيك اكتسى جوّي سناً و تلألؤاً ... و ارتدَّ تُربي عنبراً و عـــــبيراً

و قال أيضاً :(٣٣)

فيا عجباً أن ظلَّ قلبي مؤمـنـــاً ... بشرع غرامٍ ظلَّ بالوصل كـافـــــرا

أرجي لسلواني نشوراً و حسنها ... يرى رأي ذي الإلحاد أن ليس ناشرا

و ليس على حُكم الزمان تحكُّمٌ ... على حسبِ الأفعال يُجري مصـادرا

و معرفةُ الأيام تُجدي تجـاربـاً ... و من فهم الأشطار فكَّ الـدوائـــرا

و لولا طلابُ الدَّهر غاية علمهـا ... لما بسطوا منها بسيطاً و وافـــراً

و لولا أبو يحيى ابن معنٍ محمدٌ ... لما كانت الأيامُ عندي ذخـائـــرا

فلا تنكروا مني بديعاً فمـجـدُه ... نوادرُ قد أوحت إليَّ الـــنـــوادرا

يحُجّ ذراهُ الدهرَ عافٍ و خائفٌ جموعاً كما وافى الحجيجُ المشاعرا
فزر مكةً مهما اقترفت مآثماً وَزُرْ أُفقَهُ مهما شكوت مفاقرا
تهيمُ بمرآهُ العصورُ جلالةً و تحسدُ أولاها عليه الأواخرا

*****

و أصبح المعتصم يوماً مع ندمائه وأظهر صبية مهدوية من اللّعب المطرب ، و حضر أيضاً لاعبٌ مصريّ هنالك ، فارتجل ابن الحداد يصف ذلك :(٣٤)

كذا فلتلُحْ قمراً زاهرا و تجنِ الهوى ناضراً ناضرا
و سيبُك صوبُ ندّى مُغدقٍ أقام لنا هاملاً سامرا
و إنَّ ليومكَ ذا رونقاً منيراً لنور الضحى باهرا
صباحُ اصطباحٍ بإسفاره لحظنا مُحيَّا العلا سافرا
و أطلعتَ فيه نجومَ الكؤوس و ما زال كوكبُها زاهرا
و أسمعتنا لاحناً فاتناً و أحضرتنا لاعباً ساحرا
يُزَفِنُ فوق رؤوسِ القيان فتنظرُ ما يُذهلُ الناظرا
و يخطفها ذيلُ سربالِه فتبصرُ طالعها غائرا
فظاهرُها ينثني باطناً و باطنها ينثني ظاهرا
و ثناهُ ثانٍ لألعابه دقائقُ تثني الحجى حائراً
و في قيّم الراح من سحره خواطرُ و لهت الخاطرا
إذا وردَ اللحظُ أثناءَ ها فما الَوهمُ عن وردِها صادرا
و من بدعِ نُعماكَ إبداعُه فما انفكَّ عارضُها ماطرا
و سروك يجتذبُ المغربات و يجعلُ غائبها حاضرا

*****

و له في آخرى :(٣٥)

يا غائباً خطرات القلب مَحضره الصبر بعدك شيء لستُ أقدره
تركتَ قلبي و أشواقي تفطره و دمعُ عيني و أحداقي تُحَدّره
لو كنت تبصر في تدبير حالتنا إذنْ لأشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونكَ لا تخلو بلذتها و الدهر بعدك لا يصفو تَكدُّره
أخفي اشتياقي و ما أطويه من أسف عن البرية و الأنفاس تظهره

*****

و له :(٣٦)

إن المدامع و الزفير قد أعلنا ما في الضمير

فعلام أخفى ظـــاهـــراً سقَمي علىّ به ظهـير
هب لي الرضا من ساخط قلبي بساحته الأسـير

*****

و له :(٣٧) ما مشبه الملك الجعْدى تسمية و مخجلَ القمر البدري أنوارا

*****

و له :(٣٨)

أيها الواصل هجري أنا في هجران صبري
ليتَ شعري أيّ نفع لك في أدمان ضـري

*****

أنشد هذه القصيدة سنة خمسٍ و خمسين ، و أخذَ عليه أنّه همز فيها ما لا يُهمزُ ، فقال فيما لا يهمز :(٣٩)

عجبتُ لغمّازينَ علمي بجهـــلـمْ و إنَّ قناتي لا تلينُ على الغـمـزِ
تجلّتْ لهم آياتُ فهمي و منطـقي مُبينةَ الإعجاز ملزمةَ العـــجـــز
و لاحتْ لهم همزَّيةٌ أو حـــديـّةٌ و ويلٌ بها ويلٌ لذي الهمز و اللَّمز
رموها بنقصٍ بينَتْ فيه نقصهـم و من لمس الأفعى شكا ألم النَّكـز
و إن أنكرت أفهامُهم بعض همزها فقد عرفتْ أكبادهم صحةَ الهـــمز

*****

قال ابن الحداد في أول قصيدته (حديقة الحقيقة):(٤٠)

ذهب الناس فانفرادي أنيسي و كتابي محدّثي و جليسي
صاحب قد أمنت (٤١)منه مـلالاً و إختلالاً و كل خلقٍ بئيس
ليس من نوعه بحيّ و لكـــن يلتقي الحي منه بالمرموس

*****

و له :

و الناس أغربةُ إذا قايستهم و أخو المصافاة الغراب الأبيضُ (٤٢)

*****

و قال من أخرى :(٤٣)

أقبلن في الحبرات يقصرنَ الخطـا و يرينَ في حلل الوراشين القطـا
سربُ الجوى لا الجو عوّد حسنهُ أن يرتعي حبَّ القلوب و يلقُطـا
مالت معاطفهُنَّ من سكر الصّبـا ميلاً يخيفُ قدودها أن تسقطـا
و بمسقط العلمين أوضحُ معلـمٍ لمهفهفٍ سكنَ الحشاو المسقطا
ما أخجل البدرَ المنيرَ إذا مشـى يختالُ و الخوط النضير إذا خطا

*****

و له في المدح :(٤٤)

يا وافدي شرق البلاد و غربـها ... أكرمتما خيل الوفادة فأربطا
و رأيتما ملك البرية فأهنـأ(٤٥) ... و وردتما أرض المرية فأحططا
يدمى(٤٦) نحور الدارعين إذا ارتأى ... و يُذل عز العالمين إذا سطا

*****

و قوله :(٤٧)

تطالبني نفسي بما فيه صَوْنُها ... فاعصى و يسطو شوقها فاطيعها
و و الله ما يخفَى علىّ ضلالُها ... و لكنها تهوى فلا أستطيعها

*****

و له :(٤٨)

قالت و أبدتْ صفحةً ... كالشمس من تحت القناع
بعتُ الدفاتر و هي آ ... خر ما يباع من المتاع
فأجبتها و يدي على ... كبدي وهَمَّتْ بإنصداع
لا تعجبي مما ... رأيت فنحنُ في زمن الضياع

*****

و في الغزل قال :(٤٩)

بخافقةِ القرطين قلبُك خافق ... و عن خرس القُلبين دمعك ناطقُ
و في مشرق الصدغين للبدر مغرب ... و للفكر إظلامٌ و للعين شارق
و بين حصا الياقوت ماء وسامة ... ومخلاة عنه الظباء و السوابق
و حشو قباب الرقم أحوى مقَرْطَقٌ ... كما آس روض عطفه و القراطق

*****

و في الغزل له :(٥٠)

عساك بحقَ عيساك ... مريحةٌ قلبي الشاكي
فإنّ الحُسن قد و لا ... ك إحيائي و إهلاكي
و أولعني بصلبانٍ ... و رهبانٍ و نسَّاك
و لم آت الكنائس عن ... هوى فيهنَّ لولاك
و ها أنا منك في باوى ... و لا فرجٌ لبلواك
و لا أسطيعُ سلواناً ... فقد أوثقتِ أشراكي
فكم أبكي عليك دماً ... و لا ترثين للباكي
فهل تدرين ما تقضي ... على عينيَّ عيناك

و ما يذكيه من نـــارِ بقلبي نورُكِ الذّاكـي ؟

حجبتِ سناكِ عن بصـــري و فوق الشّمس سيماك
و في الغصن الرَطيب و في الـ نقا المرتَجّ عطـــفـــاك

*****

و منها قوله :(٥١)

و إذا رأتك الشهبُ مزمعَ غزوةٍ ودَّت جميعاً أنّها لك جحفـــل
و لوِ الأمور جرَتْ على مقدارها حملَ السلاحَ لك السماكُ الأعزل

*****

و له أيضاً :(٥٢)

أتعلم أن لي نفساً عليـــلـــه و أشواقاً مُبرّحةً دخيلهُ ؟
و في طيّ الخميلة ريمُ إنسٍ رمزت بها فللّه الخميلهْ

*****

و له فيه أيضاً :(٥٣)

و النفسُ عادمةُ الكمالِ و إنّما بالبحثِ عن علم الحقائق تكملُ
و المرءُ مثلُ النَّصل في إصدائه و الجهلُ يُصدي و التفهُّم يصقل

و منها قوله :(٥٤)

متلألئٌ يثنى العيونَ نواكساً كالشمس تعكسُ الحظَ يتأمـلُ
لا يتَّقي رَمدَ النَّوائبِ ناظـــرٌ يجلى بنير صفحتيك و يكحل
و كأن راحته الذّراعُ إفاضـةً و كأنّما الأنواء منها الأنـــمـــل
تتصوَّرُ الأكوانُ في حوبـائـه فكأنّ خاطره الصقيلَ سَجنجل

*****

و له و هو مما يتغنى في الأندلس :(٥٥)

فذر العقيق مجانباً لعقـــوقـــه و ذر العذيبَ عذيبَ ذاتَ الضال(٥٦)
أفُقٌ مُحلّى بالقواضب و القـنـــــا للأغيد المعطار لا المعـــطـــال
حجبوكَ إلاّ منْ توهُّم خاطـــري و حَموكَ إلاّ منْ تبّوء بـــالـــى
و القارضان جميل صبري و الكرى فمتى أرجّى منك طيف خـيـال

*****

و له أيضاً من قصيدةٍ في المقتدر ، يذكر فيها كمال السلم بينه و بين أخيه المظفّر ، و يصف غزو الحاجبِ ابنه المؤتمن و بنيانه في نحر العدوّ حصن المدوّر :(٥٧)

مساعيكَ في نحر العدوَّ سهـــامٌ و رأيك في هام الضَّلالِ حســامُ

و لمحُك يُردي القرن و هو مدجّجٌ و ذكرك يثني الجيش و هو لهام
كأنكَ لا ترضى البسيطة منـــزلاً إذا لم يُطنّبه عليك قـــتـــام

و منها :

كأنك خلتَ الشمس خوداً فلم يزل يُقنّعها بالنّقع منكَ لئـــام
و قد يحسبون السّلم منك سلامةً و ربَّ منامٍ دبَّ فيه حمامُ

*****

و قال ناصحاً : (٥٨)

حيثما كنتَ ظاعناً أو مقيماً دُم رفيعاً و عش منيعاً سليماً

*****

و وصف هلال العيد بقوله :(٥٩)

و بدء هلال الأفق أحنى ناسخاً عهد الصيام كأنه العُرجون
فكأنّ بين الصوم خطط نحـوه خطاً خفياً منه النـــــونُ

*****

و له :(٦٠)

و مال طرفي لا يوافيك شاكيـا و طرفك في كلّ الأحايين و سنان
و في ثغركَ الوضّاح ري لبانتي فظلمكُ صدءاء و قلبي صديـانُ
تسحُّ بأهواءِ الورى منه راحةٌ شآبيبُها فيها لجينٌ و عقـــيان
و ما كيمينيه الفراتُ و دجلةٌ و إن حكموا أنّ المرية بـــغدان
به اعتدلت أزمانُها و هـواؤها فكانونُ أيلولٌ و تموزُ نيســانُ

و قال أيضاً :(٦١)

و بين المسيحيَّات لي سامـريـةٌ بعيدٌ على الصبّ الحنيفيّ أن تدنو
مُثلَّثةٌ قد وحدَ الله حسنـــهـــا فثُني في قلبي بها الوجدُ و الحـــزنُ
وطيَّ الخمار الجون حُسنٌ كأنما تجمّعَ فيه البدرُ و الليلُ و الـدَّجـن
و في معقدِ الزّنارِ عقدُ صبابـتي فمن تحته دعصٌ و من فوقه غصـن
و في ذلك الوادي رشاً أضلعي له كناسٌ ، و قمريٌّ فؤادي له و كـــنُ

و له فيها أيضاً :(٦٢)

رويدك أيها الدَّمعُ الهتونُ فدون عيان من أهوى عيونُ
يظنُّ بظاهري حلمٌ و فهمٌ و دخلةُ باطني فيه جـنـون
إلى كم أستسرُّ بما ألاقـي و ما أخفيه من شوقي يبينُ

نويرة بي نويرة لا سواها و لا شكّ فقد وضحَ اليقـين

*****

و له من أخرى يعتذرُ فيها من خروجه عن المرّية بعد اعتقال أخيه ، و كتب بها من مرسية :(٦٣)

الدّهرُ لا ينفكُ من حدثـــانـهِ و المرءُ منقادٌ لحكمِ زمانـهِ
فدعِ الزمان فإنّه لم يعتـــمـدْ بجلاله أحداً و لا بهوانـــه
كالمزن لم يخَصُص بنافع صوبه أفقاً و لم يختر أذى طوفانـه
لكن لباريه بواطنُ حكـــمـــةٍ في ظاهرِ الأضداد من أكوانه

و منها :

و علمتُ أنَّ السَّعي ليس بمنجحٍ ما لا يكونُ السّعد من أعوانه
و الجدُّ دونَ الجدَّ ليس بنافـــعٍ و الرّمحُ لا يمضي بغير سنانه

*****

و من شعره في بني هود ، و لحِق ابن الحداد بسرقسطة سنة إحدى و ستين ، فأكثر المقتدر بالله مـن برّه و علم أنه متشوفٌ إلى شعره فمدحه بقصيدةٍ أولُها :(٦٤)

أسألتْ غداة البينِ لؤلؤ أجفـــــان و أجرت عقيق الدَّمع في صحن عقيان
و ألقَتْ حُلاها من أسى فكأنـمـــا أطارت شوادي الورق عن فنن البـان
و أذهلها داعي النَّوى عن تنقُّـــبٍ فحيَّا مُحياَّها بتُفّاحِ لُبـــنـــان
و قد أطبقتْ فوق الأقاحي بنفسجاً كما خمشت ورداً بعنّاب سوســان

و منها :

و ليلٍ بهيمٍ سرتهُ و نجومهُ أزاهرُ روضٍ أو سواهرُ أجـــفـان
كانّ الثريا فيه كأس مدامة و قد مالت الجوزاء ميلة نشـــوان
و ما الدَّهر إلا ليلةُ مدلهمةٌ و شمسُ ضحاها أحمد بنُ سليمان

و له فيه أيضاً :(٦٥)

يا سائلي عما زكنتُ من الـــورى و السرُّ قد يُفضى إلى الإعـلان
إيها سقطت على الخبير بحالهـــم عند العروض حقائـقُ الأوزان
هم كالقريض و كسرهُ من وزنـــه يبدو من التحريك و الإسـكان
هاجوا سكوني فاستدمت هياجهم إنَّ الحراك دلالة الحـــيـوان
فانجاب عن شمسي دجى إجلابهم و لربَّ بُرء كان في بُـحـــران

لما فضلتُ رموا بكلَ عظيمـــةٍ و الفضلُ موضعُ أسهم البهتان
شاد ابن معنٍ في تُجيبَ مكارمـــاً ليست لمعنٍ في بني شيبـــان
يا من يضيفُ إليه حاتم طـيّىء مرعى و لكن ليسَ كالسَّعدان
أعطته أهواء القلوب سياســةٌ خفيتْ لطائفها على ساســان
و بدت إلينا منه صورة ســيرةٍ تنبيكَ عمّا سنه العـــمـــران

*****

و له فيه من أخرى :(٦٦)

دوين الكثيب الفرد قضْبٌ و كثبان عليها لورق الوجد سجعٌ و إرنان
و في ظلل الأفنان خوطٌ على نـــقـا منيعُ الجنى لدنُ التأود فينـــان
و في مكنس الرَّقم المنمنم أحـــور كأن مصاليت الظّبا منه أجفـان
و بين درايّ القلائـــد نـــيّـــرٌ له الحسنُ تمٌ و التَّلثُم نـقـصـان
على صُدغه الشَعرى تلوح و تلتظي و في نحره الجوزاء تزهى و تزدان

*****

و جاء في النفح :(٦٧)

و كان له في صباهُ علاقة مع الصمادح الملقب بسراج الدولة ، و عندما أنشد أحد الأدبـاء هذين البيتين متمثلاً ، فاعجبا المعتصم و قال : ... كنت في الصبا و هي معي القب بسراج الدولة ، فقاتله الله ما أشعره .

سامح أخاكَ إذا أتاكَ بزَّلةٍ فخلوص شيء قلما يتمكّنُ
في كل شيء آفة موجـودة إنّ السراج على سناهُ يدَخّنُ

*****

و جاء في الذخيرة :(٦٨)

واصل أخاكَ و إن أتاكَ بمنكـــرٍ فخلوص شيءٍ قلما يتمكـنُ
وفي كل شيء آفـــة موجـــودة إنّ السراج على سناهُ يدَخَّنُ

*****

و حضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبّانة ، فانشد فيه قصيداً ، أبرز به من عُر الإحسان ما لم ينفصم و استمر فيها يكمل بدائعها و قوافيها ، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أولهُ :

عج بالحمى حيث الظباء العينُ

فقالَ ابن الحداد مرتجلاً :(٦٩)

حاشا لعدلكَ يا ابن معنٍ أنْ يُرى في سلك غيري درى المكنـــونُ
و إليكها تشكو استلاب مطيهـا عج بالحمى حيث الظباء العينُ

فاحكم لها و اقطع لساناً لا يداً فلسانُ مَنْ سرقَ القريضَ يمينُ

*****

و له في قصر ابن صمادح قصيدة طويلة منها :(٧٠)

و كأن طرفي مسمعي و كأنه صوت و شكل خطوطه تعيين
متلالىء فكانما سال المها فيه و ذاب اللؤلؤ المكنون
و كأن مبيض الخدود و ضاؤه صحن له لا المرمر المسنون
تعش بمذهب لمعه فكأنما أبدى لديه كنوزه قارون

و له :

هو ثالث القمرين في ضوءيهما فيه تضيء لنا الليالي الجون
لو أبصرته الفرس قدس نوره كسرى و أخبت نارها شيرينُ
أو لو بدا للروم معجز صنعه أبدى السجود إليه قسطنطين

و قوله :

و المجلسان النيران بالغا هذا لهذا في البهاء قرين
كالمقلتين أو اليدين ما بدا و الحسنُ يعضد حسنه التحسين

*****

و منها :

عطفت حنياه و ضمت بعضها – بعضاً – و سحر ذلك التضمين
كتقاطع الأفلاك إلا أنه متباينان تحرك و سكون
و كأن هرمس بث حكمته به وادار فيه الفكر أفلاطون
و كأن راسم خطه أقليدس فموائل الأشكال فيه فنون
من دائر و مكعب و معين و معجم تقويه التحجين
فهنالك التضعيف و التثليث و التر بيع و التسديس و التثمين

و منها :

رأس يظهر النون إلا أنه سامٍ فقبته بحيث النون
هو جنة الدنيا تبّوأ نزلها ملك تملكه التّقى و الدين
فكأنما الرحمن عجلّها له ليرى بما قد كان ما سيكون
و كأن بانيه سنمار فما يعدوه تحسين و لا تحصين
و جزاؤه فيه نقيض جزائه شتان ما الأحياء و التحيين

*****

و في مدح ابن صمادح جاء في النفح :(٧١)

عج بالحمى حيث الغياض العينُ فعسى تعنُّ لنا المهاة العينُ
و استقبلنْ أرج النسيم فدارهم ندّية الأرجاء لا داريـــنُ
أفق إذا ما رمت لحظ شموسه صدتك للنقع المثار دُجونُ
أنى أراعُ لهم و بين جوانحي شوقٌ يهوَّنُ خطبهم فيهونُ
أنى يصاب خرابهم و طعانهم صَبٌّ بألحاظ العيون طعينُ
فكأنما بيضُ الصفاح جداول و كأنما سمر الرماح غصونُ
ذرنى أسر بين الأسنةِ و الظبا فالقلبُ في تلك القباب رهين
يا ربة القرط المعير حفوقه قلبي ، أما لحراكه تسكينُ
توريدُ خدك للصبابة مورد و فتور طرفك للنفوس فُتونُ
فإذا رمقت فوحى حبك منزل و إذا نطقت فإنه تلقينُ

*****

و في المغرب :(٧٢)

دعني أسر بين الأسنةِ و الظبا فالقلبُ في تلك القباب رهين
فلعله يُروى صداي بلحظه وجه به ماء الجمال معينُ
أنت الهوى لكنَّ سُلْوانَ الهوى قصرُ ابن معنٍ والحديثُ شجونُ
فالحسنُ أجمعُ ما يُريكَ عيانه لا ما أرثُهُ سوالفَ و عيونُ
و الروضُ ما اشتملتْ عليه سُهُولهُ لا ما أرثُهُ أباطحٌ و حزونُ
قَصرٌ بينت القصور قصورَها عنهُ و فضلُ الأفضلينَ يبينُ
هو جَنَّةُ الدنيا تبّوأ ظلّها ملكٌ تملكهُ التُّقى و الدينُ
فمن ابن ذي يزنٍ و ما غُمدَ انهُ النَّقل شكّ و العيانُ يقينُ

و منها :(٧٣)

لا تلقح الأحكام حيفاً عنده فكأنما الأفعال و التنوينُ

*****

و من المنسوب إليه في النساء :(٧٤)

خُن عهدها مثل ما خانتكَ منتصفاً و امنح هواها بنسيان و سُلوانِ
فالغيدُ كالروض في خلق و في خُلقِ إن مرَّ جانٍ أتى من بعده جانِ

*****

و له في ابن صمادح :(٧٥)

و سما إلى الملك الرّضا ابن صمادحٍ فأدالني بالسخط من رضوانه
و هوى بنجمى من سماء سنائه و قضى بحطى من ذرا سلطانه

و في نويرة يقول :(٧٦)

و من جرحته مقلتاك نويرةٌ فليسَ يرجّى من جراح الأسى أسوا
أرى كلَّ ذي سلوى رآك متيماً فما اكثر البلوى بحسنك و الشكوى

و نارُ الأسى تخبو بقربِ نويـرةٍ و من لي بأن آوى إلى جنّة المـأوى

و فيها قوله :(٧٧)

و في شرعة التثليث فَردُ محاسنٍ تنزَّلَ شرعُ الحبِّ من طرفه و حيا
و أدْهل نفسي في هوى عيسـويّةً بها ضلّت النفسُ الحنيفيَّةُ الهـديا
فمن لجفوني بالتماح نـويـرةٍ فتاةٌ هي المردى لنفسي و المحيا
سبتَني على عهدٍ من السّلم بيننا و لو أنها حربٌ لكانتْ هي السَّبيا

و قالَ أيضاً(٧٨)

أما الذي بي فإنني لا أسميّـه لكن سأُلقي رموزاً جمةً فيه
إذا أردت من الأعداد نسبتـه فجذرُ أوله عُشرٌ لثانـيـه
و إن أضفتَ إلى ذي الجذر رابعه رأيت ثالثه زُهراً معانـيـه
و نصفه أولعتْ أختُ الرشيد به فقد تبيَّنَ ماضيه و باقـيه

*****

و كان لا يذكر اسم نويرة ولايصرح بها خوفاً من انكشاف أمره ، و لكنه في أبيات آخرى يذكر اسمها من خلال مسائل رياضية متعلقة بترتيب الحروف العربية .(٧٩)

صنتُ إسم إلفى فدأباً لا أسمّيه و لا أزال بالغازي أُعميّـهِ
و صاحبي عددي قد رمزتُ به بذكر أعداد ما تحوى مبانيه
فجذر أوله رُبعٌ لآخـره و جذرُ آخرهُ ربعٌ لثانـيـه
و إنّ ثانيه خمسٌ لثالـثـه فافهم فقد لاحَ للأفهام خافيه

*****

و له أيضاً :(٨٠)

و عند الرَّوض خدّاك و من ريّاه ريّـاك
نويرةُ إن قليت فإنّـ ـني أهواك أهـواك
و عيناك المنبئتـا ك أنّي بعضُ قَتّلاك

(١) وردت أبيات منها في المسالك و إبن خلكان و المطمح و نفح الطيب و الخريدة ، والذخيرة ١ / ٢ : ٧٠٩
(٢) رؤياك في كتاب دول الطوائف
(٣) النفح : فجمر ، الأسى
(٤) إبن خلكان : حداة هداة .
(٥) أوحى : أسرع ، النفح أو لعلها : و لعلها .
(٦) النفح : موارد
(٧) إبن خلكان و الخريدة : حوتها
(٨) الضآضى ء : جمع ضئضىء وهو الأصل و المعدن
(٩) ابن خلكان : ٥ / ٤١
(١٠) نفسه و الصفحة .
(١١) النفح ٥ / ١٩٢
(١٢) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٠٥ – ٧٠٦ وردت أبيات في الخريدة ، منسوبة خطأ للأسعد بن بليطة ، الخريدة ٢: ٢٦٧
(١٣) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٣

(١٤) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٤ – ٧١٥
(١٥) نفسه ١ / ٢ / ٧٠٦
(١٦) الذخيرة ١ /٢ / ٧٢١
(١٧) لم ترد هذه القصيدة في المصادر الأندلسية ، و إنما وردت في الخريدة منسوبة إلى (الأسعد بن بليطة) ، و جاءت في الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه لـ د . مصطفى الشكعة / ٦٥ و إتجاهات الغزل في عصر الطوائف ، إنقاذ عطاء الله / ٢١٢ لعبد الله بن الحداد من معنى القصيدة ، و إن ابن خلكان قد وقع في وهم لا سيما و إنه نقل قصائد مؤكدة لابن الحداد منسوبة إلى الأسعد بن بليطة .
(١٨) النفح ٥ : ٤٩
(١٩) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٧
(٢٠) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٥ – ٧٢٦
(٢١) نفسه ١ / ٢ / ٧٢٧
(٢٢) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٠
(٢٣) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢١
(٢٤) نفسه ١ / ٢ / ٧١٩
(٢٥) النفح ٥ / ١٩٨
(٢٦) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٢٧
(٢٧) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٨
(٢٨) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٩
(٢٩) نفسه ١ / ٧٠٢
(٣٠) النفح ٣ : ٥٠٢
(٣١) الاحاطة : ٣٣٤
(٣٢) الذخيرة ١ / ٢ / ٦٩٢ ، النفح ٥ : ٤٨
(٣٣) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٧
(٣٤) نفسه ١ / ٢ / ٧٢٢
(٣٥) النفح ٥ : ١٩١
(٣٦) النفح ٥ : ١٩٢
(٣٧) نفسه و الصفحة
(٣٨) نفسه و الصفحة
(٣٩) النفح ٥ / ٤٩
(٤٠) النفح ٥ / ٢٥٣
(٤١) أيقنت في التكملة رقم ١١١٩
(٤٢) خريدة القصر ٤ / ٢ : ١٨٢
(٤٣) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١١ ، النفح ٩ / ٢٣٩
(٤٤) الاحاطة / ٣٣٤ ، الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٢
(٤٥) في الذخيرة قاطباً
(٤٦) في الذخيرة يرمى
(٤٧) النفح ٥ / ١٩٣
(٤٨) نفسه ٥ / ٢٨٧
(٤٩) النفح ٥ : ١٩٣
(٥٠) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٠٧
(٥١) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٣
(٥٢) نفسه ١ / ٢ : ٧٠٩
(٥٣) نفسه ١ / ٢ / ٧٢٢
(٥٤) نفسه ١ / ٢ / ٧٢٣
(٥٥) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٦ ، النفح ٦ : ٤٩
(٥٦) في النفح : الخال
(٥٧) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٨

(٥٨) النفح ٥ : ٥١
(٥٩) نفسه ٥ / ٢٤١
(٦٠) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٤
(٦١) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٠٨
(٦٢) الذخيرة ١/ ٢ : ٧٠٨
(٦٣) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٤ : النفح ٥ : ٥٠ بإختلاف ترتيب الأبيات .
(٦٤) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٥
(٦٥) الذخيرة ١ / ٢ / ٧١٨
(٦٦) نفسه ١ / ٢ / ٧٢٣
(٦٧) النفح ٥ : ٥٠ .
(٦٨) الذخيرة ١ / ٢ : ٧٢٩
(٦٩) النفح ٥ / ١٩٢
(٧٠) النفح ٥ : ٢٤٠ ، المغرب : ٢ : ١٤٤ ، مسالك الأبصار ١١ / ٢٠٠ ، لوحه ٤٠١
(٧١) النفح ٥ : ٢٤٠ ، المغرب ٢ : ١٤٣ .
(٧٢) المغرب : ٢ : ١٤٣
(٧٣) النفح ٥ / ٢٤
(٧٤) نفسه ٥ / ٥٠ – ٥١
(٧٥) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٢٤
(٧٦) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٠٨
(٧٧) الذخيرة ١ / ٢ / ٧٠٩
(٧٨) نفسه ١ / ٢ / ٧٠٧
(٧٩) نفسه ١ / ٢ / ٧٠٦ – ٧٠٧
(٨٠) نفسه ١ / ٢ : ٧٠٨

پوخته

ئەم لێکۆڵینەوەیە دەربارەی ژیانی شاعیری ئەندەلوسی (عەبدوڵای کوڕی حەداد)ە کە لە ساڵی ٤٨٠ ی کۆچیدا کۆچی دوایی کردووە و لە سەردەمی ئەو کێشەیە دا ژیاوە کە بە سەردەمی تەوائیف (عصر الگوائف) ناسراوە ، لەگەڵ لێکۆڵینەوەی تەواوی مەبەستە شیعریەکانی کە دەتوانین ناوی بنێین (شیعری دڵداری بۆ ژنانی دیانی) کە دەکاتە (الغزل بالنصرانیات) و کە داهێنانی تێدا کردووە و لەوەشدا سەرکەوتنی بەدەست هێناوە کە توانیویەتی چەند وێنەیەک لە خووڕەوشتی مەسیحیانە بهێنێتە ناو ئەدەبی عەرەبیەوە ، لەگەڵ ڕاڤە کردنی چەند نمونەیەکی هەڵبژاردە لە شێوەکانی و کۆتایی باسەکەش بەوە هاتووە کە پاشکۆیەکی لە چەند نمونەیەکی شێوەی هێناوەتەوە کە لە نێوان کتێبە نەدەبی و مێژوییەکاندا دۆزراوەتەوە کە ژمارەیان سێ سەد و نەوەد و شەش دێرە شیعرە .

(Abstract)

This research embraces biography of an Andalusian poet , Abdulla Bin Al Haddad (died 480 H) , who lived during a period of gloomy conflict Known as (Assir – Altawaif – Era of sect) . The research studies his poetic perposes profoundly , pausing particularly at the one he maotered well , which can be called (Algazal Bilnasraniyat – love poetry on christian ladies) , where he Succeeded in conveying portraits of customs and rites of christianity in to the abrabic literature , besides the an alysing Selected Samples of his verses .

This research concludes with an appendia contaming a bout 396 lines his verses found with in page of liteary and historical books .